مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

الثروة الحيوانية
فرصة لتعزيز صادرات العراق غير النفطية

الباحث والكاتب: حسن الصراف

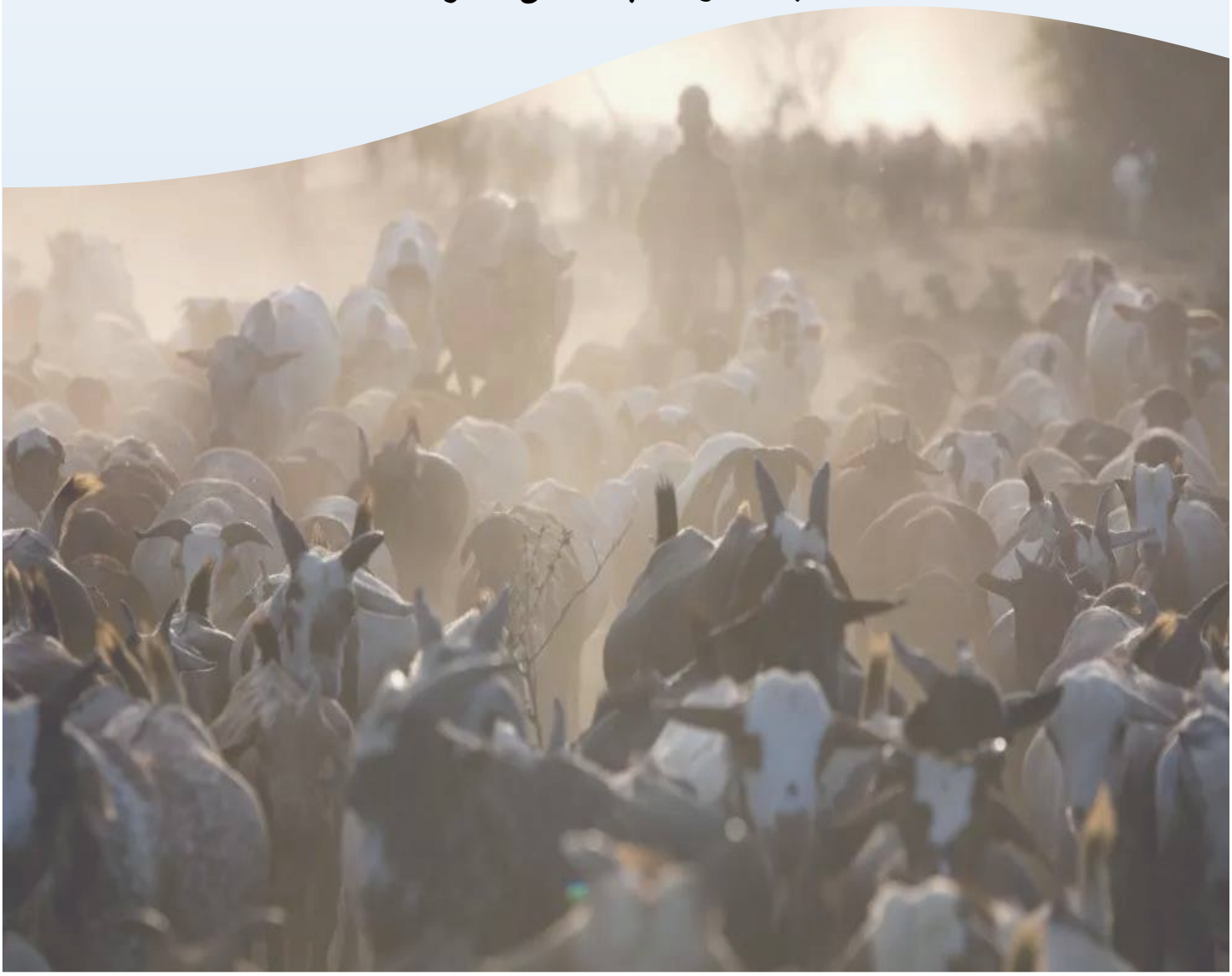

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

الثروة الحيوانية

فرصة لتعزيز صادرات العراق غير النفطية

قسم الابحاث والترجمة

الباحث والكاتب: حسن الصراف

السفير الياباني السابق في العراق «فوميو إيوا»، الذي يتقن اللغة العربية وكان مهتماً بنشر انطباعاته وآرائه حول العراق في مواقع التواصل الاجتماعي، أثار ذات مرّة في أحد منشوراته على منصة "الفيسبوك" مسألةَ تفرّد العراق في إنتاج بعض المواد الغذائية ذات المذاق اللذيذ، والتي تمثّلت بـ«القيمر العراقي» و«الدبس» و«الراشي»، مؤكداً أنه بعد مغادرته العراق بحث كثيراً عن القيمر والدبس والراشي في بلده ولكن لم يجد منتوجاً بنفس الجودة والمذاق العراقي.

كان «إيوا» يلمّح في منشوره إلى وجود فرصة كبيرة أمام العراقيين من أصحاب المشاريع الصغيرة لتعزيز قطاع التصدير في العراق. (الدبس والراشي والقيمر العراقي!)، تخيّل لو أن العراق يتقدّم عالمياً في تصدير مثل هذه الطيّبات، ويشتهر بها مثل اشتهار اليابان بالسوشي أو كإشتهار إيطاليا بالبيتزا!.

يمتلك العراق موارد طبيعية وبشرية كبيرة للنهوض بالمشاريع الصغيرة والاستثمارية ولتصدير بضائع وسلع ومنتجات غذائية إلى دول عديدة شرقاً وغرباً.

ومع شيء من التأمل والإمعان في المواد الغذائية المنتجة في الداخل العراقي سنجد أن الإقبال الأجنبي لا يقتصر على التمور والألبان ومشتقاتها، فكما يعلم الكثير منّا، تُفضّل بعض دول المنطقة، سيما الخليجية منها، اللحوم الحمراء العراقية لجودتها ومذاقها المُميّز.

إنَّ الاستثمار في مجال الزراعة الرعوية وتربية الماشية – سيما في وسط العراق وجنوبه – من شأنه أن يُعزّز قطاع التصدير لدول الجوار الذين يفضّلون المنتجات الغذائية العراقية، ومن ثمَّ توفير الآلاف من فرص العمل للشباب، سيما لخريجي كليات الزراعة والطب البيطري، كما أن هذا الاستثمار سيدُرّ الملايين من الدولارات سنوياً للسوق المحليّة. وبعبارةٍ أدقّ: إنَّ تعزيز «الصناعة التحويلية – Manufacturing»[1] يمثّل أحد الحلول الناجعة لتعزيز الصادرات غير النفطية في العراق.

يمثّل النشاط الرعوي شكلاً من أشكال الزراعة التي تهدف إلى إنتاج الثروة الحيوانية بدلاً من زراعة المحاصيل. ومن أهم إنتاجات النشاط الرعوي اللحوم والألبان التي تؤدّي دوراً هاماً في تحقيق الأمن الغذائي. وفي العراق، تُعتبر الزراعة والنشاط الرعوي «النقطة الأساسية في معالجة مشاكل الغذاء وخلق المزيد من فرص العمل، وخاصة في المناطق الريفية»[2]. ولا يُخفى عن الخبراء الاقتصاديين أن «الثروة الحيوانية تساهم بنسبة كبيرة في القطاع الزراعي تقارب 50% على مستوى العالم أو في معظم البلدان»[3]، ولهذه الثروة أهمية كبيرة في الدخل القومي لِلعديد من بلدان العالم.

ولكن ما هي طبيعة العوائق التي تقف أمام تحقيق مثل هذه المشاريع؟

1- الصناعة التحويلية (Manufacturing) هي عملية معالجة المواد الخام من أجل تحويلها إلى سلع تامّة الصنع، وذلك عن طريق استخدام الآلات، والأيدي العاملة، وعمليات المعالجة الكيميائية. للمزيد يُنظر:
Will Kenton, Understanding Manufacturing Production and Its Different Types, https://www.investopedia.com

2- زراعة المستقبل، طريق أحمد إلى الزراعة المستدامة في العراق، موقع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في العراق (UNDP): https://www.undp.org (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

3- زهير فخري وجمال عبد الرحمن، **إنتاج الأغنام والماعز**، (جامعة بغداد، كلية الهندسة الزراعية): https://coagri.uobaghdad.edu.iq

تحاول هذه الورقة أن توجز أهم العوائق التي تواجهها الزراعة الرعوية أو النشاط الرعوي في العراق، مع الإشارة إلى الفرص المتوفّرة التي من شأنها أن تحقق نمواً اقتصادياً للسوق المحلية وتوفير العديد من فرص العمل من خلال تطوير هذا القطاع المهم في الصناعة التحويلية.

التحديات والفرص أمام الزراعة الرعوية في العراق

أوّلاً: الواقع الراهن لاستهلاك اللحوم والألبان في العراق

يحتلّ العراق المركز الثالث في قائمة الدول العربية الأكثر إنفاقاً على شراء اللحوم الحمراء على مستوى الفرد في 2024 على الرغم من ارتفاع أسعار البيع، بحسب بيانات أطلقتها مواقع عالمية وعربية[4].

وتشير الإحصائيات الرسميّة الصادرة عن مديريات الزراعة ودوائر الثروة الحيوانية إلى أن «إنتاج العراق من اللحوم يبلغ نحو 320 ألف طن سنوياً، بينما الاحتياج الفعلي هو 580 ألف طن، ما يتسبّب في وجود عجز في الإنتاج»[5].

وهنالك طلب متزايد على البروتين الحيواني، سيما مع الزيادة السكانية المتنامية، وكذلك ارتفاع مستوى المعيشة، وارتفاع معدلات الاستهلاك، فبحسب تصريح الوكيل الفنّي لوزارة الزراعة العراقية ميثاق عبد الحسين تبلغ «حاجة الفرد السنوية من اللحوم البيضاء كمعدل 20-21 كيلوغراماً سنوياً، أما اللحوم الحمراء فبمعدل 12 كيلوغراماً للفرد سنوياً»[6].

وبحسب دراسة صادرة عن جامعة بغداد يبلغ أعداد الأغنام في العراق نحو 6 مليون رأس، وقبل عقديّن كان العدد 9-8 مليون رأس غنم. ولكن ما حدث خلال السنوات الأخيرة من حروب وحصار ساهم في انخفاض أعداد الأغنام وكافة حيوانات المزرعة إلى حوالي نصف العدد[7].

وعلى مستوى الألبان ومشتقاتها فإنَّ العراق يُعد من أكبر المستوردين للألبان في المنطقة، إذ «تصدَّرَ قائمة مستوردي منتجات الألبان التركية لعام 2023»[8]، و«استورد العراق ألبان وأجبان من البحرين بأكثر من 19 مليون دولار خلال العام الماضي 2023»[9]، وهذه النسبة في تزايد مستمر، إذ أن «النمو السنوي لواردات الجبن واللبن الرائب من البحرين ازداد ما بين عامي 2019 و 2023 بنسبة 29%»[10]، كذلك مَثَّلَ «العراق الوجهة الأولى لمنتجات الألبان الإيرانية بنسبة 65.4% من حصة التصدير الإيراني»[11] لهذه المنتجات. وبحسب تصريح المتحدّث باسم مصلحة الجمارك الإيرانية روح الله لطيفي «بلغت قيمة استيراد العراق للألبان الإيرانية في عام 2020 وحده نحو 75 مليون دولار»[12].

هذا يعني أن العراق يُعد في الوقت الراهن أحد أكبر المستوردين للألبان واللحوم في المنطقة، وهذا مما يُشكّل التحدي الأكبر لجعله مُصدِّراً لها.

4- بالأرقام.. الدول العربية الأكثر استهلاكاً للحوم الحمراء.. أين مركز العراق؟، موقع السومرية نيوز: https://www.alsumaria.tv (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

5- المصدر نفسه.

6- الزراعة تعلن معدل إنتاج اللحوم والاستهلاك المحلي لعام 2020، خبر منشور في موقع وكالة الأنباء العراقية (واع) في 21 أيار 2021، https://www.ina.iq/126288--2020.html، (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

7- زهير فخري وجمال عبد الرحمن، **إنتاج الأغنام والماعز**، مصدر سبق ذكره.

8- العراق يتصدر قائمة مستوردي منتجات الألبان التركية لعام 2023، خبر منشور في 28 نيسان 2024، موقع موازين نيوز: https://www.mawazin.net

9- خبر منشور في موقع قناة الاتجاه: https://www.aletejahtv.iq/ (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

10- المصدر نفسه.

11- العراق أولاً.. ما الدول التي تشتري منتجات الألبان من إيران؟، خبر منشور في موقع: https://mdeast.news/ar، في 27 تشرين الأول 2023. (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

12- العراق يتصدر الدول الأكثر استيرادا للألبان الإيرانية، خبر منشور في موقع شفق نيوز: (https://shafaq.com/ar)، في 11 آب 2020، (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

ثانياً: التحديات التي تواجه النشاط الرعوي في العراق

هنالك العديد من المشاكل والأزمات الداخلية على مستوى البنى التحتية التي يعرفها كل مواطن عراقي، إذ تلقي بظلالها على أيّ مشروع تنمويّ في البلاد، بدءاً من شحّة الموارد المائية وأزمة الطاقة، وليس انتهاءً بمشاكل النقل والمواصلات بين المدن والمناطق الريفية، ومن ذلك:

– عدم الاهتمام بالنشاط الرعوي: «يُنظر إلى رعي الماشية في كثير من الأحيان على أنها ممارسة قديمة غير ملائمة للاقتصاد الحديث»[13]، ويبدو أن المستثمر المحليّ في العراق لا يرغب أو لا يجد جدوى في الاستثمار في هذا المجال للمشاكل العديدة التي يعاني منها البلد على مستوى البنية التحتية.

– انخفاض أعداد الماشية، سيما الأبقار والأغنام، وأسباب انخفاض العدد هو: «شحة المواد العلفية الخضراء، وتدهور المراعي كمّاً ونوعاً، وانتشار ظاهرة الذبح الجائر وغياب الإشراف، وتصاعد عمليات التهريب إلى خارج العراق، ومحدودية الخدمات البيطرية وانتشار الأمراض، وعدم وجود برامج للتطوير والتحسين البيئي والوراثي سواء فيما يتعلّق بالمربي أو قطاع الإرشاد الزراعي والخدمي والحكومي»[14].

– انهيار المنظومة الإنتاجية للمواد الغذائية، سيما على مستوى النشاط الرعوي وهذا ما يؤدّي بالسوق المحلية إلى أن تنفتح بشكل كامل على الاستيراد من الخارج.

– شحّة الأعلاف: بحسب تصريح للمتحدث باسم وزارة الزراعة فإن «أي ثروة حيوانية تحتاج إلى برنامج لإنتاج الأعلاف، والوزارة بدأت بهذا البرنامج منذ فترة، لكن واجهتنا مشكلة المياه التي تحتاجها الأعلاف، ما تسبّب بتوقف دعم قطاع الثروة الحيوانية»[15].

ويقول رئيس اتحاد الجمعيات الفلاحية حسن التميمي في هذا الصدد: «الثروة الحيوانية تعاني من عدم توفر الأعلاف، ولا توجد تخصيصات كافية لاستيرادها أو زراعتها، فضلاً عن شح المياه، وكنّا نأمل استثناء زراعة المحاصيل العلفية من الخطة الزراعية، للمساعدة في تنمية الثروة الحيوانية»[16].

– غلاء المواد الأولية الخاصة بالنشاط الرعوي: إرتفاع أسعار أعلاف الحيوانات وندرة المياه التي تحتاجها، بالإضافة إلى قلّة الدعم الحكومي وخاصة وزارة الزراعة[17].

– غياب المصانع الحديثة لإنتاج الألبان: بحسب تصريحات صادرة عن وزارة الزراعة لا توجد في العراق «صناعات تحويلية» عدا معمل "أبو غريب"، وحتّى في زمن الثروة الحيوانية الهائلة التي كانت تُقدّر بالملايين في عامي 2019 و2020. فإن مصنع "أبو غريب" يرتكز على المناطق والقرى القريبة منه، وبالتالي ما يزال إنتاج الألبان متواضعاً جداً، بسبب عدم توفر نظام الأعلاف الذي يحتاج أيضاً إلى غطاء نباتي ونظام رعي"[18].

13- تجاهل الفوائد الاقتصادية لرعي الماشية رغم أهميتها، مقال منشور في موقع «The New Humanitarian»: (https://www.thenewhumanitarian.org/ar) في 16 أيار 2013، (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

14- زهير فخري وجمال عبد الرحمن، **إنتاج الأغنام والماعز**، مصدر سبق ذكره، ص 1.

15- رغم تفضيلها محلياً.. تدهور حاد بإنتاج مشتقات الحليب في العراق؛ مقال منشور في موقع **شفق نيوز** في 27 سبتمبر 2022: https://shafaq.com/ar (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

16- المصدر نفسه.

17- المصدر نفسه.

18- المصدر نفسه.

ثالثاً: فرص النهوض بالنشاط الرعوي كصادرات غير نفطية

معظم الدول النفطية تعمل على إيجاد بدائل عن النفط لتعزيز صادراتها، فعلى سبيل المثال الدول الخليجية لديها استثمارات كبيرة في الدول الأخرى في مجالات الزراعة والصناعة والترفيه، وإيران تعتمد على تصدير الصناعات التي تشتهر بها أو تنفرد بها تقريباً من قبيل السجّاد والزعفران والمكسّرات.

لدى العراق الكثير من الفرص لتعزيز صادراته غير النفطية مثل السياحة والزراعة. وكخطوةٍ أولى في هذا الاتجاه ينبغي التركيز على المنتوجات الغذائية التي ينفرد بها العراق، سيما تلك التي تمتاز بإقبال واسع من قبل المستهلكين في الخارج، مثل المنتوجات المشتقة من لبن الجاموس العراقي (كالقيمر وبعض أنواع الأجبان) ولحم الغنم العراقي، فعلى الرغم من عدم بلوغ إنتاج لحم الغنم في الداخل إلى مستوى الاكتفاء الذاتي فإنّه بحسب تصريحات مسؤولين رسميين يتم تهريبه إلى خارج العراق بسبب الإقبال عليه ولجودته العالية.

هذا يعني أنه من خلال استراتيجية صحيحة ورصينة يمكن جعل العراق البلد الأول في المنطقة لإنتاج وتصدير اللحوم والألبان بدلاً من أن يكون المستورد الأكبر لها. فالنشاط الرعوي يدرّ أرباحاً من شأنها أن تجعل البلد على المدى المتوسط والبعيد مركزاً مهماً لتصدير هذا الصنف المواد الغذائية.

على سبيل المثال «تدرّ التجارة بين المجتمعات الرعوية في أفريقيا -والكثير منها غير رسمي وغير قانوني – ما يُقدَّر بحوالي مليار دولار سنوياً، وفقاً لِدراسة نشرها اتحاد الزراعة المستقبلية. ويسهم الرعي بما بين 10 و44 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي للبلدان الأفريقية، ويدعم الرعي بشكل مباشر ما يقدر بنحو 20 مليون شخص، وينتج 80 بالمائة من إجمالي إنتاج الحليب السنوي في إثيوبيا، ويوفِّر 90 بالمائة من اللحوم المستهلكة في شرق أفريقيا، ويسهم بنسبة 19 بالمائة، و13 بالمائة، و8 بالمائة من الناتج المحلي الإجمالي في إثيوبيا وكينيا وأوغندا على التوالي»[19].

وكمثال آخر حول تصدير المنتوجات الزراعية «حققت صادرات التمور ومشتقاتها في السعودية ارتفاعاً بنسبة 152.5% منذ عام 2016 لتصل إلى 1.462 مليار ريال في نهاية العام 2023م»[20].

رابعاً: الحلول الأوليّة

لِجعل العراق مُصدّراً للحوم والألبان بدلاً عن استيرادها يجب وضع استراتيجية وطنية رصينة وطويلة الأمد، سيما أن تحقيق الاكتفاء الذاتي في هذه المفردات الغذائية يمثّل مهمّة وطنية ترتبط بنحوٍ مباشر بالأمن الغذائي للبلد، إذ ليس من المعقول ترك السوق المحلية مرهونة بقدرة المصدّر الأجنبي على التصدير أو امتناعه عن ذلك متى ما يشاء. ولعلّ المحاور الأهم في هذه الاستراتيجية تتمثّل كالآتي:

– العمل الجاد على معالجة أزمة الطاقة في قطّاعَيّ الصناعة والزراعة.
– ترسيخ ثقافة العمل على إنشاء الشركات الناشئة (startup company) بين الشباب وخريجي الكليات، سيما المتخصصين في الهندسة الزراعية والطب البيطري، وذلك عبر سُبل شتّى كأجهزة الإعلام والتعليم الجامعي وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية حول أهمية الشركات الناشئة.
– توفير قروض مصرفية وافية وسهلة التسديد للشركات الاستثمارية الخاصة في مجال الزراعة والنشاط الرعوي وذلك من أجل المضي في خصخصة هذا القطّاع وتجاوز القطاع الحكومي تدريجياً.
– إنشاء مراكز أبحاث وطنية تُعنى بالهندسة الزراعية والثروة الحيوانية ورسم سياسات طويلة المدى لتطوير النشاط الرعوي في البلد. ومن شأن هذه المراكز البحثية أن تقدم الإحصائيات الدقيقة والاحتياجات للنهوض بواقع الزراعة والثروة الحيوانية في البلد.

19- تجاهل الفوائد الاقتصادية لرعي الماشية رغم أهميتها، مصدر سبق ذكره.
20- ارتفاع صادرات السعودية من التمور إلى 14% لتصل إلى 1.462 مليار ريال، خبر منشور في موقع قناة العربية (https://www.alarabiya.net) في 1 آذار 2024. (تاريخ المشاهدة: 12 تشرين الأول 2024).

– دعم كليات الهندسة الزراعية والطب البيطري لإعداد مهندسين وأطباء بيطريين متخصصين، وحثّ خريجي هذه الكليات على ممارسة تخصصاتهم من خلال مشاريعهم الخاصة في النشاط الرعوي والزراعة، وهذا ما يتطلب دعماً حكومياً على مستوى التمويل والقروض والبنى التحتية.
– إقامة معارض سنوية تُدعى إليها كبرى الشركات العالمية في مجال الزراعة والثروة الحيوانية والمواد الغذائية للتعرف المباشر على أحدث التقنيات في الرعي والزراعة.
– توفير دعم حكومي (Subsidy) لمنتجات الثروة الحيوانية – وذلك في ضوء دراسة اقتصادية دقيقة – ليتمكّن سعر المنتوج المحلّي أن ينافس أسعار المنتوج المستورد.

في ختام هذه الورقة أود أن أستشهد بعبارة أخرى ذكرها السفير الياباني الأسبق حول أزمة الغذاء في بلده، فخلال زيارته لجامعة الكوفة في عام 2016، ألقى محاضرةً عن تجربة بلاده أكّد فيها أنَّ اليابان بعد الحرب العالمية الثانية واجهت أزمةً كبيرة في توفير الغذاء، ولذلك قاموا بزراعة كل شِبرٍ في بلدهم، بما في ذلك حدائق البرلمان الياباني لتوفير الخضروات ولمعالجة الأزمة!

المصادر:

1- زراعة المستقبل، طريق أحمد إلى الزراعة المستدامة في العراق، موقع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في العراق (UNDP):
زراعة المستقبل: طريق أحمد إلى الزراعة المستدامة في العراق | برنامج الأمم المتحدة الإنمائي(undp.org)

2- زهير فخري وجمال عبد الرحمن، **إنتاج الأغنام والماعز**، (جامعة بغداد، كلية الهندسة الزراعية) بحث منشور عبر الرابط الآتي:
https://coagri.uobaghdad.edu.iq

3- بالأرقام... الدول العربية الأكثر استهلاكاً للحوم الحمراء... أين مركز العراق؟، موقع السومرية نيوز:
بالأرقام.. الدول العربية الأكثر استهلاكاً للحوم الحمراء.. اين مركز العراق؟ | خاص السومرية(alsumaria.tv)

4- الزراعة تعلن معدل إنتاج اللحوم والاستهلاك المحلي لعام 2020، خبر منشور في موقع وكالة الأنباء العراقية (واع) في 21 أيار 2021:
الزراعة تعلن معدل إنتاج اللحوم والاستهلاك المحلي لعام 2020 » وكالة الأنباء العراقية(ina.iq)

5- العراق يتصدر قائمة مستوردي منتجات الألبان التركية لعام 2023، خبر منشور في 28 نيسان 2024، موقع موازين نيوز:
العراق يتصدر قائمة مستودري منتجات الألبان التركية لعام 2023(mawazin.net)

6- العراق أولاً... ما الدول التي تشتري منتجات الألبان من إيران؟، خبر منشور في موقع في 27 تشرين الأول 2023:
العراق أولاً.. ما الدول التي تشتري منتجات الألبان من إيران؟ - ميدل ايست نيوز بالعربي(mdeast.news)

7- العراق يتصدر الدول الأكثر استيرادا للألبان الإيرانية، خبر منشور في موقع شفق نيوز في 11 آب 2020:
العراق يتصدر الدول الاكثر استيرادا للألبان الإيرانية - شفق نيوز(shafaq.com)

8- تجاهل الفوائد الاقتصادية لرعي الماشية رغم أهميتها، مقال منشور في موقع «The New Humanitarian» في 16 أيار 2013:
The New Humanitarian | تجاهل الفوائد الاقتصادية لرعي الماشية رغم أهميتها

9- رغم تفضيلها محلياً... تدهور حاد بإنتاج مشتقات الحليب في العراق؛ مقال منشور في موقع **شفق نيوز** في 27 سبتمبر 2022:
رغم تفضيلها محلياً.. تدهور حاد بإنتاج مشتقات الحليب في العراق - شفق نيوز(shafaq.com)

10- ارتفاع صادرات السعودية من التمور إلى 14% لتصل إلى 1.462 مليار ريال، خبر منشور في موقع قناة العربية في 1 آذار 2024:
ارتفاع صادرات التمور السعودية 14% إلى 1.5 مليار ريال في 2023(alarabiya.net)

11- Will Kenton, Understanding Manufacturing Production and Its Different Types,
https://www.investopedia.com/terms/m/manufacturing-production.asp